

وبذلك فإنّ نعيمه مثله مثل السيد المسيح يندد بالملكية الخاصة أو بالمال. ويخصص جزءاً من كتابه "المراحل" (١٩٣٣) للسيد المسيح بعنوان "وجه يسوع" يكتب تحت هذا العنوان: "أراه مسمّراً على الصليب، ودمه القاني السخين يتدفق من يديه ورجليه. ويقطر من جبينه وشاربيه.... وعلى رأسه المحني فوق صدره أبصر أكليلاً من شوك" (٢٨ص٦٤) وحول السيد المسيح كان جنود روما العاتية، تحيط بهم جماهير من أحفاد إبراهيم وإسرائيل ويعقوب ورؤساء الكهنة وتجار وعمال وفلاحون وعشارون. فيهم السادة وفيهم العبيد الذين يعضون اليد التي تحاول فك قيودهم. ويسمع نعيمه صوت المخلص وهو يقول: "أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون". ولكن الذين لهم عيون ولا يبصرون، لأنها من زجاج، ولهم قلوب لا تعرف إلا الخوف والكرهية، هؤلاء لا يمكن أن يفهموا سمو حكمة السيد المسيح: "لا تقاوموا الشر بالشر". إنّ الأعمال والأقوال والأفكار تحبل وتلد كما تحبل النساء وتلد. فإن حبل الشر بالشر ولد شراً، وإن حبل الخير بالخير ولد خيراً. وإن لم يكن للشر ما يحبل به من جنسه انقرض من تلقاء ذاته. وكانت الجماهير تضحك قائلة "خلص الآخرين وأمّا نفسه فما قدر أن يخلصها". أغنياء ذلك الزمان مثل أغنياء كل زمان يطلبون السعادة في الملذات. وصرخ المصلوب "إلهي! إلهي! لماذا تركتني؟" أي أنّ السيد المسيح بعد أن قرر الشعب صلبه، وبيلاطس البنطي اتخذ قراره، لم يبق له سوى الله، ولكن الله لم يجبه.

يرى ميخائيل نعيمه أن قصة صلب السيد المسيح من أكثر قصص الأدب العالمي مأساوية، وأنّ هذه الصفحات في الإنجيل مؤلمة للغاية، فبالفعل لقد ترك جميع التلاميذ معلمهم بعد أن خائنه يهوذا، والشعب أخذ يصرخ "اصلبوه" وبقي هناك أمل بأن يخلوا سبيله قبل العيد حسب التقاليد، التي بموجبها يخلون سبيل أحد المحكوم عليهم بالموت، فأخلوا سبيل اللص. وحتى الله لم يجب على صرخات يسوع. هذه نهاية رحلة يسوع المسيح على الأرض، رحلة الآلام والأوجاع.

وكتب ميخائيل نعيمه الأمثال والحكم، وقد سبقه إلى ذلك تولستوي، وكذلك فالأدب العربي غني بالحكم. يدعو ميخائيل نعيمه في حكمه وأمثاله مثله مثل تولستوي إلى المحبة والتسامح. ويدعو الناس إلى التخلي عن السلاح، لأنّ السلام الحقيقي لا يحتاج لمن يحميه. ولن يكون سلام مادام هناك جندي واحد مسلح. ويرى أن الصداقة الحقيقية تعني أن ينوب الإنسان في الآخرين وينسى ذاته